الفن المعاصر

AL.FANN AL.MOASER Contemporary Art Review Revue d'Art contemporaine

5
ربيع
2004

أكاديمية الفنون
ACADEMY of ARTS
ACADEMIE des ARTS

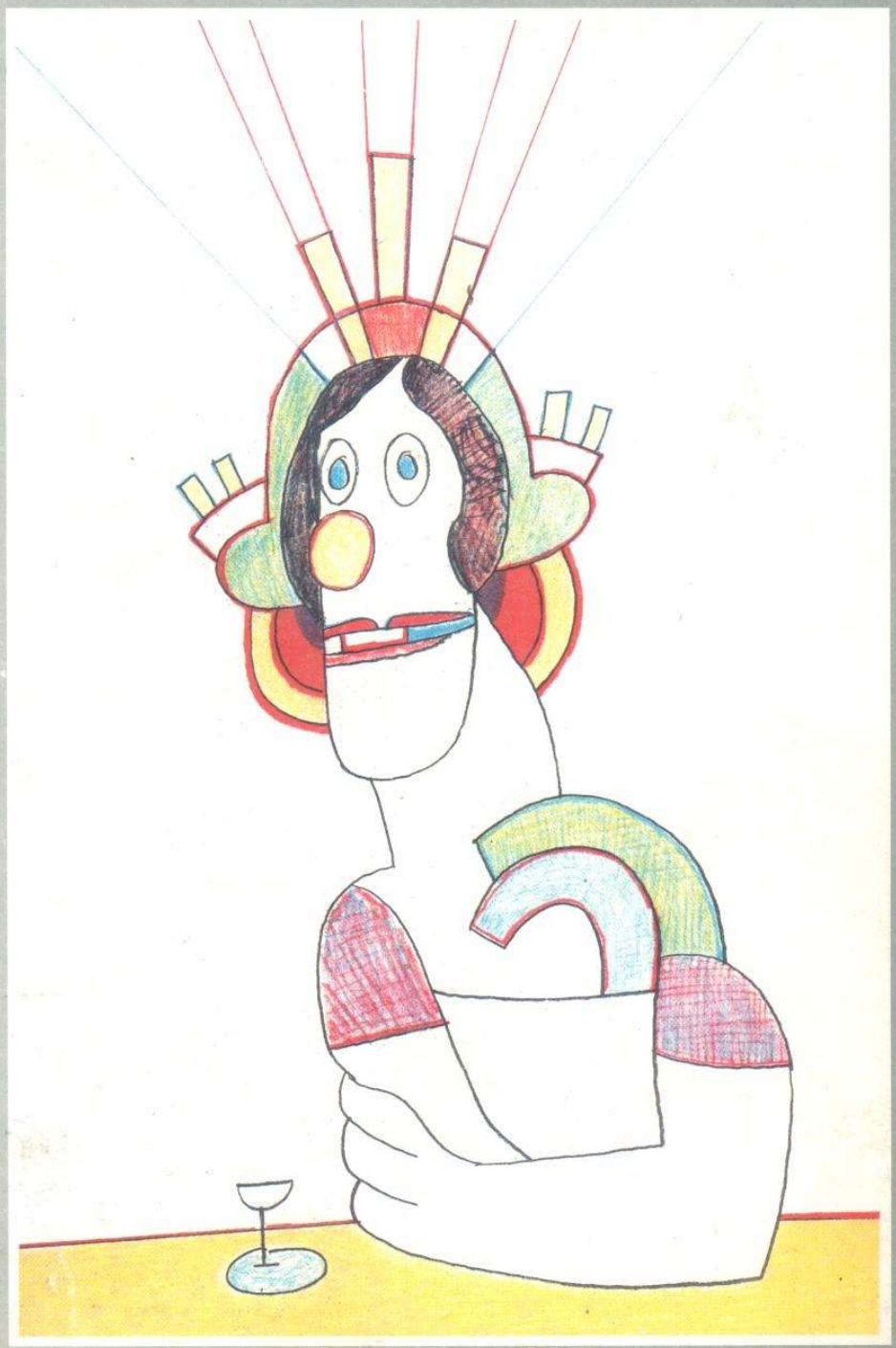

الفن المعاصر

مجلة علمية محكمة تصدرها أكاديمية الفنون

لوحة الغلاف

سول ستينبرج [١٩١٤ – ١٩٩٩]، «بونبون رودان»، ١٩٧٢، متحف المتروبوليتان، نيويورك.

ولد «ستينبرج» في رومانيا، وأنهى دراسته للعمارة في ميلانو عام ١٩٤١، وهاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٢، وشارك في الحرب العالمية الثانية بدءًا من عام ١٩٤٣.

الفن المعاصر

مجلة فصلية متخصصة فى الفنون تصدرها أكاديمية الفنون

رئيس الأكاديمية

أ . د. هانى مطاوع

نائب رئيس الأكاديمية

أ . د. شاكر عبد الحميد

رئيس التحرير

أ . د. فوزى فهمى

مدير التحرير

أ.م.د. وائل غالى

سكرتير التحرير

أحمد رمضان

مستشارو التحرير

أ . د . سمحة الخولى

أ . سعد أردش

أ . توفيق صالح

أ . د. نبيل راغب

أ . د. رتيبة الحفنى

أ . د. صلاح قنصوة

أ. صفوت كمال

هيئة التحرير

أعضاء هيئة التدريس بأقسام اللغات والترجمة بمركز اللغات والترجمة بالأكاديمية

التصميم الفنى

محيى الدين اللباد

المحتويات

كلمة المحرر

مسرح

أزمة اللغة فى " المسرح الجديد" الإسبانى 015

بقلم : خوسيه جارثيا تمبلادو • ترجمة : د. خالد سالم • مراجعة : أ.م.د . حسن عطية

المرأة فى الأعمال المسرحية اليابانية الحديثة 035

بقلم : كوايكيه ميساكوو • ترجمة : نجلاء الحفنى • مراجعة : د. عادل أمين

سينما

ما بعد التصوير الفوتوغرافي وما بعده 057

من النسخ الآلي إلى الإنتاج الرقمي

بقلم : جوران سونيسون • ترجمة : داليا صبرى • مراجعة : أ.د. هشام أبوالنصر

شارات الرؤية 077

بقلم : محرر مجلة الجمعية الدولية للبيسبول •ترجمة : د. إيمان حجازى • مراجعة : د. يحيى عزمى

موسيقى

نظرية المجال فى علم علامات الموسيقى 091

بقلم : فكتور أ. جراور • ترجمة : التحرير • مراجعة : أ.د. راجح داود

موسيقى الجاز والعرق 107

بقلم : ساندى كارتر • ترجمة : هبة نبيل • مراجعة : أ.د عزة مدين

رقص

التخطيط المادي : مراجعة الرقص الرقمي ١٩٩٧" 119
بقلم : سوزان كوزيل • ترجمة : د. سومية مظلوم • مراجعة : أ.د نبيل راغب ، د. محمود كامل

ثقافة الرقص ، رقص الثقافة 131
بقلم : شارى كورنيللى • ترجمة : د. سحر فراج • مراجعة : د. محمود كامل

فنون شعبية

العابر والخالد أم غسق المحدثين؟ 159
بقلم : فيليب مانورى • ترجمة : التحرير • مراجعة : أ.د. راجح داود

سياسات الهوية 173
بقلم : جون براون تشايلدز • ترجمة : د. سمية رمضان • مراجعة : أ.د نبيل راغب

فنون تشكيلية

المجالات المعرفية الممكنة من خلال مشروع "الأروقة" 189
بقلم : لورا تشيزا • ترجمة : د. محمد لطفي نوفل • مراجعة : أ.د. مصطفى عثمان

الصفات الأساسية والتفسير النفسي والفسيولوجي للإدراك الحسي للألوان 211
بقلم : أوستن كلارك • ترجمة : أ.د. أمين الرباط • مراجعة : أ.د عبد الحميد الخريبى
أ.د. شاكر عبد الحميد

نظرية نقدية

البلاغة في مقابل الواقع 251
بقلم : ميخائيل ألبرت • ترجمة : د. محمد الجندى • مراجعة : أ.د. نهاد صليحة

نظام العلامات السردية والاستطرادية 261
بقلم : جوزيف كورتيس • ترجمة : أ.د حمادة إبراهيم • مراجعة : أ.د منى صفوت

نظرية ثقافية

الثقافة والسلعة 275
بقلم : ماري فرناندو بولونييزي • ترجمة : د. سمير متولى • مراجعة : أ.م.د. حسن عطية

نقد العقل الغربي، والاستشراق ، والأصولية الإسلامية 285
بقلم : منى أباظة و جيورج ستاوت • ترجمة : سامح فكرى • مراجعة : أ.د صلاح قنصوة

اتصال

علم العلامات الحيوية : المدخل الوظيفي-التطوري إلى تحليل معنى المعلومات .. 331
بقلم : أليكسى أ. شاروف • ترجمة : د. محمد لطفى نوفل • مراجعة : أ.د. نبيل راغب

تجديدات القطيعة أو التكنولوجيات المتقدمة والمستقبل 377
بقلم : إليو فليزيا • ترجمة : د. فيفى فريد • مراجعة : أ.د. حمادة إبراهيم

إبداع

مسرحية «الملك وأنا» 409
بقلم : أوسكار هامرشتاين • ترجمة : د. سامى صلاح • مراجعة : أ.د. أمين الرباط

وثائق ثقافية

عالم بلا جدران 505
بقلم : بيل كلينتون • ترجمة : تامر عبد الوهاب • مراجعة : د. محمود كامل

سقوط النسر 517
بقلم : عمانوئيل فلرشتاين • ترجمة : أ.د أمين الرباط • مراجعة : أ.د عبد الحميد الخريبى

مصطلحات

الإصلاح الفكرى ، تمازج التخصصات، إصلاح الجامعة 539
بقلم : إدجار موران • ترجمة : د. چيهان عيسوى • مراجعة : أ.د حمادة إبراهيم

كلمة المحرّر

نقدم، هنا، للعدد الخامس، من أعداد مجلة الفن المعاصر، في الوقت الذي يستعيد فيه، العالم، شكه التام في قيم الحضارة الإنسانية بعامة. من سترندبيرج السويدي إلى برتولد برشت الألماني، ترتاب الطليعة الفنية والأدبية العالمية في قيم الحضارة الغربية. ترتاب في التقدم، وفي العلم والصناعة، وفي التيار الوضعي والمادي، وتضخم النزعات الفاشية/النازية/الفاشية الجديدة... لكنها ترتاب أيضا في غرور الاستعمار والهيمنة على الثروات والشعوب، وغير ذلك من ظواهر الحضارة الغربية الحديثة وما بعد الحديثة. لذلك تظل الريبة العالمية مزدوجة : الريبة من الحضارة ومن نقيضها معا.

يرتاب المثقفون الغربيون، منذ مطلع القرن العشرين تقريبًا، في معنى التقدم والتطور. ويحتجون على المدنية. وليس الشك الراهن بالشيء الجديد؛ وإنما تمتد جذوره في التراث العقلي الأوروبي القديم والحديث بعامة، وفي مدارس اليونان بخاصة. وسبق أن مجد بعضهم القبح واعتبره عنصرا من عناصر الجمال الفني، وثار بعضهم الآخر على أوروبا ومدنيتها في الفنون والثقافة. وثار آخرون على انهيار الأخلاق. وتنبأ آخرون بالعدمية وببدء عصر جديد، وإنسانية جديدة تمجد القوة. صار الوعي الغربي إلى اللاشعور، واستعاد بدائيته، وأراد تحطيم الواقع الخارجي. صار الوعي الغربي إلى تحليل إنهيار الحضارة الغربية بين المرض، والتيه، والانحطاط الحضاري الغربي، والتناقض بين الحياة والتاريخ، ومضار التاريخ للحياة، والحياة المنسية لا الذكر، والأزمة العدمية الحضارية الغربية، وأزمة التمرد والإرهاب، وتخفيض قيمة القيم كلها، والعبث واللامعقول، وعدمية المثال الميتافيزيقي نفسه، والأكاذيب، والفصل بين القيم والأخلاق، والإسقاط الميتافيزيقي، وموت القيم الكونية، من العدمية المنفعلة إلى العدمية الفعالة، وتجاوز العدمية، الفوضى، والنفيّ. ترتاب الطليعة الفنية ...

... والأدبية العالمية في الذات، وفي البداية من الصفر، وفي "وقائع الوعي"، وفي النفس، وفي العلية، وفي التوازي النفسي–الفسيولوجي، وفي الإرادة. صار العلم إلى السؤال، وصار إلى العدمية، وصار التفاؤل العقلاني إلى موضع الأخلاق، وصارت الموضوعية العلمية إلى موضع السؤال، وصارت الميتافيزيقا إلى ينابيع السؤال.

استعادت الفنون والثقافة العالمية الراهنة، فنون وثقافة بدايات القرن العشرين، وكأن قرنًا لم يقع قط. استعادت السياسة العالمية سياسة القرن التاسع عشر الميلادي ، وكأن قرنًا من التحرر الوطني لم يقع قط. استعادت الهيمنة العالمية سياسة الاستعمار القديم ، وكأن قرنًا من الاستقلال الوطني لم يقع قط. استعادت السيطرة العالمية السياسة الإمبراطورية القديمة، وكأن قرنًا من حركات التحرر الوطني لم يقع قط. صارت مابعد الكولونيالية إلى الكولونيالية القديمة بوسائل إلكترونية بعد حديثة.

تحتج الفنون والثقافة على المدنية الغربية التي تطرفت في استخدام الآلة إلى حد غير إنساني. تثور على المدنية والآلية. تستعيد الحركة الفنية والروحية، التي كانت قد بلغت ذروتها في العشرينيات، وما زالت تطبع الفكر الأوروبي الحديث بطابعها إلى اليوم. تزحف ذئاب الفاشية، وقطعانها الهمجية، من جديد. وتندلع نيران الحرب العالمية الرابعة.

يئس العالم من الحضارة والثقافة والمدنية. ويتمرد المثقف الغربي على الحضارة الغربية بوجه عام، ويفضل التدفق المحموم على الوضوح الصارم ، والنشوة على العقل والنظام. هل يقدر الفن أن يتجاوز حدود الواقع ؟ هل يقدر أن يبلغ جوهر الإنسان وحقيقته التي طالما حجبتها المدنية الآلية خلف قناع كثيف من التصنع؟ إنها عودة

الإنسان التقليدي. إنها استعادة للإنسان القديم – الإنسان الذي يتقيد بنظام حضاري وثقافي جنى عليه وأحاله إلى وحش. إنه الاندفاع والجموح بدل النظام والشكل. إنها الأساطير والخرافات وحكايات الجن ونصوص التصوف القديم ورؤاه، بدل القيم العقلية. وفي الوقت الذي تسيطر فيه القوة على العقل، يلتمس الفنانون التعبير المرئي واليدوي، الفرعوني والآشورى والياباني، ونماذج من النحت الإفريقى.. السابق على الحرف المكتوب. وفي الوقت الذي يسيطر فيه التشاؤم على اليوتوبيا، يستكشف الفنانون الفن البدائي الذي كان له أثر بالغ في تطور الفن المعاصر.

فالمدنية الإنسانية أو المدنية الغربية، تعيش نوعا من القلق، منذ مطلع نشأتها. لذلك، فكيف تصارع الحضارة العربية، المدنية الغربية "القلقة"، "المتصارعة هي نفسها داخليًا ؟ كيف تصارع الحضارة العربية، المدنية الغربية والصراع من طبيعة المدنية الغربية ؟ كيف تصارع الحضارة العربية، المدنية الغربية والحرب من طبيعة المدنية الغربية ؟ كيف تحل الحضارة العربية، السلام، محل الحرب الغربية ؟ كيف تقيم الحضارة العربية، السلام، مكان الإرهاب، الذي شوه صورتها ؟

في أكثر الأحيان ، يمثل الحلم بداية القلق ، مشروعا ، جدالا داخليا. لذلك لا تلبث الحضارة الغربية أن تضطهد غيرها. فنظرية شارل داروين في "أصل الأنواع"، التي عرفت يومئذ رواجًا كبيرًا، تكشف اليوم عن أبعاد جديدة في تطبيقاتها، خارج نطاق الطبيعة. إن المطلوب من المواطن غير الأمريكي أن يشعر أنه أدني من الآخرين، ومنبوذ عن نموذجهم، ولن يرضخ، فإن المواطن غير الأمريكي لا يفهم أبدا لماذا يتعين عليه أن يخجل من أصله. وبالمقابل نتنازل بغير ما أسف عن مشاركة الآخرين قوميتهم. فبإمكان المرء على الدوام أن يجد لنفسه مكانًا معينًا في إطار المجتمع الإنساني، حتى وإن استبعد من مثل ذلك المجتمع.

...

... إن مدار الأبحاث والدراسات والمقالات العلمية، المنشورة هنا، هو محاولة للبحث عن معنى آخر، عن حلم آخر، يقبل التفسير غير العدواني، بل يقبل الحياة لا الموت الذي يرسله إلينا المجتمع الصناعي المتقدم، عبر حروبه المتكررة، ومشاهده المعادة منذ نحو عقد من الزمان.

إن السبب في شعور الإنسان الغربي بالغربة في هذا العالم، الذي كان يومًا عالمًا جميلا، هو الاضطراب الذي أصاب موقف الغرب إزاء الموت. لم يكن هذا الموقف مستقيمًا، فقد كان الغرب- بالطبع- مستعدا لأن يعتقد أن الموت هو النتيجة الضرورية للحياة. وباختصار، إن الموت طبيعي، لا يمكن إنكاره، ولا يمكن اجتنابه. ومع ذلك فإنه - في الواقع- كان معتادًا أن يحيا كما لو كان الأمر يجري على نحو مغاير. فكان يبدي ميلا واضحا لأن يركن الموت "على الرف"، وأن يزيله من الحياة. لقد حاول أن يخرسه. فإن موتنا هو أمر لا يمكن تخيله. وكلما حاولنا أن نتخيله أدركنا أننا في الواقع نعيش كمشاهدين. لا أحد يعتقد- في أعماقه- بموته الشخصي، أو، إن كلا منا - في اللاوعي- مقتنع بخلوده الشخصي.

أما عن موت الآخر، فإن الإنسان المتحضر يجتنب - بعناية- الحديث عن مثل هذا الاحتمال على مسمع من الشخص المعني. والأطفال وحدهم هم الذين يغفلون هذا القيد. أما البالغ المتحضر فإنه لا يكاد يقدر أن يضمر فكرة موت الآخر من دون أن يبدو لنفسه قاسيًا أو شريرا. وعادتنا هي أن نركز كل التركيز على العلة العارضة للموت- حادث، مرض، عدوى، تقدم في العمر. وبهذه الطريقة نفضح محاولتنا لتعديل دلالة الموت من ضرورة إلى مصادفة. أما إذا واجهنا موت الكثيرين في وقت واحد، كما في الحرب، فإن ذلك يبدو لنا مثيرًا "للصدمة والترويع" ■

المسهمون فى هذا العدد

خوسيه جارثيا تمبلادو
أستاذ اللغة الإسبانية و آدابها بجامعة مدريد كومبلوتنسي بإسبانيا

كوايكيه ميساكوو
باحث في المسرح الياباني المعاصر

جوران سونيسون
أستاذ بقسم علم العلامات بجامعة لوند بالسويد

فكتور أ. جراور
أستاذ علم العلامات الموسيقية

ساندي كارتر
أستاذ الموسيقى

سوزان كوزل
أستاذة الرقص الإنجليزية

شاري كورنيللي
أستاذ الرقص

فيليب مانوري
أستاذ الموسيقى الفرنسي المعاصر

جون براون تشايلدز
أستاذ علم الاجتماع الأمريكي

لورا تشيزا
أستاذة العمارة الإيطالية

أوستن كلارك
أستاذ الفلسفة بجامعة كونيكتيكت بالولايات المتحدة

ميخائيل ألبرت
محلل سياسي أمريكي

جوزيف كورتيس
أستاذ النقد الفرنسي

ماريو فرناندو بولونييزي
أستاذ النقد الثقافي البرازيلي

منى أباظة
أستاذة الاستشراق

جيورج ستاوت
أستاذ دراسات الشرق الأوسط الأمريكي

...

أليكسي أ. شاروف
باحث بقسم الحشرات بمركز البحث العلمي بفرجينيا بالولايات المتحدة

إليو فليزيا
أستاذ العلوم التكنولوجية بجامعة إكس-مارسيليا بفرنسا

أوسكار هامرشتاين
شاعر غنائي مسرحي أمريكي

مارجريت لاندون
(١٩٠٣-١٩٩٣)، روائية أمريكية

بيل كلينتون
رئيس الولايات المتحدة السابق

عمانوئيل فلرشتاين
مفكر أمريكي، و عالم و أستاذ البحث الاجتماعي في جامعة ييل بالولايات المتحدة

إدجار موران
ناقد سينمائي أمريكي

النزعة العنصرية فى الغرب

إن النزعة العنصرية فى الغرب بوجه عام، و فى الولايات المتحدة بوجه خاص، خلقت جوا يجعل من الصعب تماما، أن يظهر تقدير واضح للمسؤليات التى تتحملها الولايات المتحدة فيما يسمى "الشئون الداخلية" للبلاد غير المتقدمة. فهم يرون أن حرب فيتنام نتيجة حتمية و محزنة للتخلف و البؤس والبدائية التى يتصورونها سمات نوعية لجنوب شرقى آسيا. وهو يبحثون فى ماض غامض عن أصل النزاع الحاضر، فيستندون إلى المنازعات التى كانت فى سابق الأيام تجعل الشمال ضد الجنوب، حتى يأخذ تدخل الولايات المتحدة شكل المصادفة العَرَضية. و عند ذلك يبدو أهل فيتنام فى صورة كائنات تستحق الشقاء، و يبدو أن الأمريكيين كانوا لسوء حظهم أو رغم إرادتهم ملزمين بالتدخل فى شئونهم، لأنهم التمسوا منهم ذلك.

برتراند راسل

عن كتاب : برتراند راسل، "جرائم الحرب الأمريكية"، ترجمة إسماعيل المهدوى، وزارة الثقافة، دار الكاتب العربى للطباعة و النشر، ١٩٦٧، ص ١٥ .

فنون شعبية

لوحة بولوك موبى دك

العابر والخالد أم غسق المحدثين؟ 159
بقلم : فيليب مانورى

سياسات الهوية 173
بقلم : جون براون تشايلدز

سياسات الهوية :
قيمة سياسات الهوية العابرة لحدود الجماعة

بقلم : جون براون تشايلدز
ترجمة : د. سمية رمضان
مراجعة : أ. د. نبيل راغب

نقدم هنا لموضوع جون براون تشايلدز عن "سياسات الهوية : قيمة سياسات الهوية العابرة لحدود الجماعة"، حيث يخلص الباحث إلى خطر بقاء بعض التقدميين من دون إدراك قيمة سياسة الهوية فوق الجماعية، فقد يتعرضون إلى لقبول صور الإعلام البارز الآن جدًا وببساطة، عن النزاع العنصري والعرقي، وعن التمييز الطائفي، والعنف، نتيجة استنكار ذلك البعض من التقدميين لسياسة الهوية للمجتمع المتعدد الثقافات، من منطلق ارتباط هذه السياسة باتجاهات التقسيم والشقاق والتفريق، مع أن ذلك يشوه جزءًا كبيرًا من الصورة الحقيقية لسياسة الهوية. فعالمنا، والإنسانية، وحضارتنا، ربما تمر الآن بأهم مفترق للطرق في التاريخ الإنساني بوجه عام. ولدينا فرصة لا سابق لها أكبر بكثير من كل مثيلاتها في الماضي لفهم وضعنا وتعددية وجهتنا. لا يمكن بعد اليوم اعتماد القصص الخرافية وأبطالها. من بين المواقف الأكثر شيوعا عن دور "الهوية" في العلاقات بين الدول، مقولة صموئيل هنتنجتون، في "صدام ...

... الحضارات"، بوصفها تصل الخطاب الاستعماري الغربي الحديث في حقل العلاقات الدولية، الممتد منذ القرن التاسع عشر الميلادي، ثم عادت إلى الظهور في نظريات العلاقات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة.

هذه هي الترجمة العربية الكاملة لنص بحث
John Brown Childs, *Identity Politics, The Value Of Transcommunal Identity Politics,*
وعنوانه على شبكة الإنترنت الدولية :
http://www.lol.shareworld.com/zmag/articles/july94childs.htm

يجري استخدام مصطلح " سياسات الهوية " على نحو واسع النطاق، وبنحو سلبي وعام، لوصف أولئك المناضلين المعنيين بالتغيير الاجتماعي، وإرجاع هذا النضال إلى الإحساس بالتجذر في مجتمعات صغيرة بعينها. ويرى التقدميون، وبينهم كثير من الأكاديميين، أن مثل تلك النظرة تعتمد هذا الانتماء للجماعة الصغيرة مصدرا رئيسا من مصادر الصراع الذي يقسم ويفرق ويضعف الحركة السياسية نحو العدالة والمساواة على مستوى المجتمع الأكبر.

إلا أن مثل ذلك الحكم الصارم بأن سياسات الهوية المتجذرة هي أحد الأسباب الرئيسة للصراع الاجتماعي، إنما هو حكم مضلل.

وبالتأكيد فإن الصراع موجود . وقد ثبت ذلك أثناء مواجهات لوس أنجلوس الحادة المناهضة للعولمة، حيث اشتبك الأمريكيون من أصل كوري ونظراؤهم من أصول لاتينية وإفريقية بعضهم مع بعض. وهو ما حدث كذلك في الأزمة المسماة " بأزمة كراون هايتس" في نيويورك، وخلال مواجهات الأفارقة الأمريكيين واللاتينيين في واشنطن العاصمة، وفي مدنيتي ديترويت وميامي. وتلك مجرد أمثلة لهذا النوع من الصراع. إلا أن الاختلاف والتعددية وحس الانتماء القوى إلى جماعة بعينها ليس في ذاته منبع الصراع بين الناس والجماعات ؛ بل إن تميز الكيان الاجتماعي لجماعة بعينها – وليس وضع الحدود والحواجز بين الجماعات– من الممكن أن يصبح قوة مؤازرة للسياسات التقدمية . ولكن علينا أن نفحص ونتفهم أولاً كلاً من مصطلحى " الصراع " و" التعاون " لو أردنا تقييم المناخ السياسي / الاجتماعي الحالي بقدر من الدقة . كما أن تقييم " التعاون بين الجماعات الاجتماعية" الذي ينبع من تلك الجماعات نفسها، من خلال نشاط المجتمعات التي تؤكد على هويتها الإثنية والعرقية، من الأمور الضرورية لو أردنا إتاحة فرص النجاح والتأثير لاستراتيجيات التقدم الاجتماعي .

وما أعنيه بمصطلح " التعاون بين الجماعات الاجتماعية " هو التفاعل البناء والتنموي الذي يقوم بين كينات اجتماعية متميزة. ذلك أن بؤرة اهتمامي تنصب في هذا المقال على نشاط الأفراد والمنظمات التي تشكل جسرًا بين الجماعات الإثنية والعرقية المختلفة في مواجهة المشكلات التي تعانيها تلك الجماعات ، سواء أكانت ...

... تلك المشكلات اقتصادية، أم بيئية، أم ذات علاقة بمظاهر العنف المختلفة. إن "التعاون بين الجماعات الاجتماعية" في تلك الأحوال لا يوظف فكرة وعاء الصهر، التي تقوم على طمس وتذويب الانتماء للجماعة الصغيرة من أجل تحقيق التعاون بين الجماعات الاجتماعية. بل على النقيض من ذلك، فإن " فكرة التعاون بين الجماعات الاجتماعية " تنهض على ترسيخ الجسور بين جماعات سكانية مختلفة؛ لأن أعضاءها يشعرون حقيقة بالانتماء إليها، ويمارسون حياتهم في إطارها. فهي ليست دعوة مجردة إلى الوحدة، وإنما يعتمد التوجه بين الجماعات الاجتماعية على الروابط بين الأفراد التي تمثل ثمرة المشاركة في السلوك العملي ، الذي يسمح بقدر أوفر من التواصل والفهم المتبادل بين النشطاء في هذا المجال، على الرغم من تباين ظروف الجماعات التي يسعون إلى حل مشكلاتها .

وعلينا التفرقة بين تلك الصيغة في التعاون ومفهوم الهوية وسياساتها القائمة على نظرة ذاتية تنحصر في الاهتمام بما هو داخلي، ولا توجه اهتمامها إلى ما هو أبعد منه . وهو مفهوم يباعد بين الأفراد ويقطعهم عن التواصل مع الآخرين تحت دعاوى النقاء، سواء العرقي، أو الإثنى ، أو غيرهما . ففي مقابل ذلك تحتفي "سياسات الهوية العابرة لحدود الجماعة" بسمات تأكيد الانتماء إلى جماعة بذاتها، والتي من الممكن أن تخدم ، على أساس ركائز متعددة ، فكرة العمل المشترك من أجل تحقيق العدالة. لكنَّ هناك نوعين من الخلط في الاستخدام الراهن لمصطلح سياسات الهوية، مما يعوق القدرة على تحقيق فكرة التعاون بين الجماعات الاجتماعية ودلالتها.

الخلط الأول

التسليم بأن الاختلاف يولد الصراع، وأن توحد المشارب والمظاهر يؤدى بالضرورة إلى التعاون ، ليس بهذه البساطة ؛ فالواقع أن الصراع كثيرًا ما يحدث بين أكثر الناس تشابهًا . بل إن التشابه والانتماء إلى جماعة بعينها كثيرًا ما يمهد الطريق إلى الصراع . ويقوم الصراع في تلك الحالة على القيم والمفاهيم المشتركة، والتي يستخدمها أطراف الصراعات التي تنشب داخل الجماعة. فعلى سبيل المثال قد تشمل حروب " عصابات الشباب " (في المجتمع الأمريكي) *صراعا بين عصابات من الركيزة العرقية نفسها كما هى الحال في حروب عصابات السود الأمريكيين . فالصراع في تلك الحالة يتولد من داخل منظومة مشتركة من المعتقدات والرموز والمعايير. فالمعركة التي تبدأ بين هؤلاء الشباب قد لا تحدث بين من هم على قدر

من الاختلاف لا يسمح بتعرُّف الطقوس المصاحبة لبدء تلك المعارك، والتي تعتمد على التعرف المشترك لنوع الإهانة التي لا تفهم في صورة إشارات لغوية ورمزية تمتد إلى استخدام اللون والإهانات ذات الدلالة الخاصة. وبالمثل فإن الحرب القاتلة في يوغوسلافيا السابقة تدور بين أناس ينتمون إلى العرق السلافي في الأساس ، يتكلمون اللغة نفسها، وينتمون إلى الثقافة نفسها. فالكروات والصرب والمسلمون بينهم ركائز ثقافية عدة. وقد أوضح عالم الاجتماع جيورج سيميل عندما قال إن الانتماء إلى الجماعة نفسها، والصراع نفسه، قد يمثلان أمرين متلازمين، بل إنهما قد يكونان متلازمين .

ووفقا للمنطق نفسه فإن الاختلاف والتميز بين الجماعات لا يؤدى بالضرورة إلى إعاقة التواصل والتفاعل ؛ بل إنه يبدو وكأن تعدد زوايا الرؤية للصورة الواحدة في تلك الأحوال يؤكد أهمية الحوار . فالحوار الحقيقي يقوم على تعدد الأصوات المختلفة ، والإنصات لوجهة النظر الأخرى يؤدى إلى تعديل المنظور، بشرط أن يظل المشارك فيه على وعى تام بموقفه المتمي . ويشير تزفتان تودوروف في كتابه عن "التنوع الإنساني " إلى أن الحوار " إنما يستمد حياة وقوة من فكرة التطور في النقاش. وهو ليس مجرد من مجموعة من الأصوات المتناقضة؛ بل إنه يتكون من تفاعل تلك الأصوات " . فلو أننا بالفعل ملتزمون بتطوير الحوار الاجتماعي/ السياسي ، فإن ذلك يفرض علينا النظر من منظور أطراف التفاعل، كل من زاويته؛ ذلك أن فكرة "سياسات الهوية بين الجماعات الاجتماعية " تقوم في الأساس على الحوار على مستوى القاعدة، وهو ما قد يمثل تحديا للحوار المكتوم بين الأفراد الذين يشكلون صفوة القوة في ذلك المجتمع. ولهذا يتعرض هذا الحوار للهجوم والنقد. وتمثل مأساة يوغوسلافيا مثالا يؤكد ذلك. فالصراع البوسني ليس كما يقول بودجان دينيتش في مقال أخير له بمجلة " ديسنت "، لا ينشب لمجرد وجود تلك الجماعات المختلفة عرقيا؛ وإنما يشتعل من جراء جهود جماعات صفوة القوة وحلفائها لفرض وحدة ثقافية عنوة عن طريق " التطهير العرقي " والترحيل القصرى . وتستهدف تلك المجهودات مجتمع مدينة سراييفو بالذات، وغيرها من المدن التي تتعايش بداخلها كثير من الجماعات ذات الانتماءات القومية المختلفة، وتربط بين بعضها بعضًا وبين أفرادها أواصر مودة. وهكذا نرى أن كثيرًا مما يسبب ذلك الكابوس، مدفوع بهدف محدد، هو سحق كل وجود للتعاون بين الجماعات الاجتماعية ذات الانتماءات العرقية المتباينة. ...

... أما في الولايات المتحدة فهناك كثير من الأمثلة التي نجد فيها أن السلطات تعمل على تقويض الصلح بين عصابات الشباب، وعلى إشعال الفتن والتوتر العرقي والإثنى في داخل السجون. يشير كريستيان بارنتى في مقالة له بمجلة " زد Z" نشرت عام ١٩٩٣، إلى العنف الذي تبع الحركة الشعبية التي نشطت بعد الهدنة التي تمت بين عصابات لوس أنجلوس. وبعدها أدركت جماعات صفوة القوة أنه بات عليها أن تختار : إما الإصلاح، وإما القمع. وقد اختارت النخبة القمع على نحو واضح وصريح . ويعتقد الكثيرون في كاليفورنيا أن السلطات قصدت عنوة إلى إشعال الفتن بين نزلاء سجن " بيليكان باى " الشهير ، من أصل لاتينى ونظرائهم الأفارقة؛ وذلك بقيامها بتوزيع العمل على أسس عرقية حتى تعوق كل فرصة للتعاون بينهم . في الوقت نفسه اشتعلت المعركة داخل الجامعات حيث يشن المحافظون، من أمثال وليام بينيت ووليام باكلى، حربا كلامية تهدف إلى طمس التعدد الثقافي، والعودة إلى عصر المونولوج. ويظهر ذلك من خلال أحد عناصر صفوة المجتمع. وسواء من خلال فرض التماثل الثقافي الأحادي، أو من خلال التعطيل العمدي لتحالفات الجماعات الاجتماعية، تقاوم النخبة الحاكمة التعاون بين الجماعات العرقية/العنصرية المختلة الواسعة الانتشار، وهي مصدر نزاع رئيس.

الخلط الثاني

" علينا أن نتعرف الأخطار التي تحدق بنا من جراء الصراع العرقي وأن نشرع في الحال في بناء النظم التعاونية". ذلك هو اللبس الثانى الذى نقع فيه عن غير قصد في تقييمنا للمشكلة في توجهنا السياسي للقضاء عليها . فمع أننى أوافق تماما على النزعة التعاونية والنية الطيبة التى تحتويها تلك العبارة إلا أنها تنطوى على اقتناع بأن التعاون ليس قائما، وأن انعدام التعاون إنما راجع إلى " سياسات الهوية " . إن الواقع يحدثنا بغير ذلك . فالتعاون يقوم بالفعل على مستوى القواعد الاجتماعية، بين أناس على وعى تام بهوياتهم العرقية والإثنية المختلفة. وهم أناس جادون في التزامهم بالفعل التعاوني الذي يسعى إلى حل المشكلات التي تواجه مجتمعاتهم، مثل العنف، ووحشية معاملة رجال الشرطة، والبطالة. إن التحالف داخل المجتمع الأمريكي بين الأمريكيين من أصل إفريقي والأمريكيين من أصل كوري، قائم ومزدهر في لوس أنجلوس، وما زال يلعب دورا مهما في تحقيق الترابط بين الجماعات الاجتماعية هناك. واتحاد العمال المهاجرين من أصول آسيوية يتآزر مع العمال الآخرين الصينيين ، والفيليبنيين،

والفيتناميين لتحدي ظروف العمل المجحفة التي تفرض عليهم . كما أن شبكة العدالة البيئية والاقتصادية المسماة " ساوث وست " تضم في عضويتها سبعين منظمة تتولى شئون الأمريكيين من أصول هندية حمراء، وإفريقية ، ومكسيكية، من أجل حل المشكلات البيئية التي يحيا فيها هؤلاء . وقد تحالفت منظمة الوعي الأسود للتنمية في لوس أنجلوس مع المنظمات المهتمة بالأفراد من أصول لاتينية لإيجاد حلول لأزمة الشباب الذين يحتجزون في الحبس والممارسات القمعية التي يعاملهم بها النظام القضائي والجنائي.

في العام السابق ، حضرتُ مؤتمر القمة الذي نظمته هيئة السلم والعدالة في المدن في كانساس سيتى ، من أجل توثيق عرى الصلح بين زعماء " عصابات الشباب " المتناحرة في كاليفورنيا ، وقد نسق كارل أبتشيرش هذا المؤتمر، لإحياء ذكرى سيزار شافيز . وقد حضر تلك القمة كثير من أعضاء "العصابات" ، والنشطاء الاجتماعيون ، والزعماء الروحيون من أصول إفريقية ولاتينية، واجتمعنا في كنيسة القديس ستيفن المعمدانية . وقد شارك كل الحاضرين متجاوزين الخطوط العرقية والإثنية والولاء للعصابات المختلفة من أجل مستقبل أكثر أمنا في شوارع المدن . ولولا المشاركة الفعالة لهؤلاء والتزامهم الواضح بإرساء قيم العدل والسلم لكان المؤتمر خاليا من المعنى .

ولكنه لم يكن كذلك ، فكما قال شاريف ويليس، وزير العدل في حكومة "بارونات الجريمة": "إن كل مرة ننجح فيها في جمع من حكم عليهم المجتمع بأنهم غير قابلين للإصلاح، نكون قد نجحنا في إنجاز شيء مهم".

وحض النداء الذي أنهى به المؤتمر فعالياته على السعي في سبيل سلم فعال يتصدى للعنف، في الوقت نفسه الذي يسعى القائمون عليه إلى تحسين الأحوال البيئية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات التي يسودها العنف .وقد أكد المشاركون (حتى الذين اتسمت علاقاتهم تاريخيا بالكراهية المتبادلة) التزامهم بتحسين العلاقات الإيجابية القائمة، كما أنهم طوروا مفاهيم جديدة حول أهدافهم المشتركة فيما يخص السلم والوفاق الاجتماعيين، والعدالة، والفرص الاقتصادية . وقال أحد أعضاء "العصابات" في خطابه : " إن العنصرية أضاعتنا وفرقت بيننا " . كما طالب زعماء العصابات بخلق فرص العمل لآلاف الشباب ممن يقعون في نطاق الخطر . وأشار فريد وليامز ، عضو لجنة القيادة ، والنشيط في حركة السلم، وهو من مؤسسي مؤتمر الصلح بين عصابة "كريبس " و" بلودز " في لوس أنجلوس بأن " هذا البلد لم يشاهد الشباب من أصول إفريقية ، والشباب من أصول ...

... هسبانية (أي المهاجرين من الدول المتحدثة الإسبانية من أمريكا الجنوبية) ، يجتمعون للحوار بدلا من إطلاق النار من قبل . إن أقدارنا واحدة، وعلينا تفهم ذلك" . وصرح ماريون ستامبس ، من منظمة جماعة "ترانكويلتى – ماركسمان " النشيطة في مجال السلم الاجتماعى في حوار له مع مجلة " سوجورن مجازين "بأن "القمة تمثل إعادة توحيد الصفوف في المجتمعات السوداء الفقيرة والمقهورة، وقد نبعت من القاع، ولم تفرض من أعلى" . ويرى دانييل ألجاندريز ، عضو ائتلاف "يونيدوس " القومي** أن القمة قد أثمرت تشكيل وتنشيط شبكة العلاقات والأفراد التي سوف تنقل الرسالة إلى المجتمعات الفقيرة، و"الجيتو" التي يحيا فيها هؤلاء الفقراء والمسحوقون. لقد كانت القمة خطوة كبيرة أسهمت علي نطاق الأمة في توسيع نشاط الفعل التعاونى بين الجماعات الاجتماعية، والذي يسعى إلى توطيد الأمن والسلم في المدن . إلا أن ذلك الاجتماع لم يكن ليحدث لولا توافر البنية التحتية للتعاون الاجتماعي على مستوى الجذور، ومن خلال الجهود المضنية للكثيرين من النشطاء في أحياء "الجيتو" التي يسكنها الفقراء من أصول عرقية مختلفة، والذين يهتمون كذلك بنزلاء السجون من تلك الأحياء .

ومن سوء الحظ أن تقدميين عدة، لا يعلمون الكثير عن مثل تلك الأنشطة، وعن المجهودات الساعية إلى تنمية التعاون بين الجماعات الاجتماعية. فالواقع هو كما وصفه "نين ألجيندريز" حين قال : إن الأكاديميين في حاجة إلى النزول من أبراجهم العالية، والعمل في المجتمع من أجل تحقيق التحالف بين أطرافه. وإن كان هناك بالطبع من يؤيدون هذا الدور بالفعل، مثل جيريمى بريتشر الذي أسهم بقدر عظيم في تفعيل حركة التعاون بين الجماعات الاجتماعية على المستوى الجماهيري في ولاية كونيتيكت . وهناك أيضا جين سندباد ، من المجلس القومي للكنائس، وجيم واليس الذي يكتب في مجلة " سوجورن "، وهناك أيضا مايك بيرتشيك والعاملون معه في معهد الدفاع عن الحقوق في واشنطن، وكذلك القس سام مان وماك تشارلز جونز اللذان استضافا مؤتمر المشاركة. إلا أنه ما زال هناك كثيرون ممن لا يعلمون عن جهود هؤلاء، أو يقاومون التعاون من أجل تحقيق تلك الأهداف . ومن شأن عدم التعاون مع الجماعات المهتمة بخلق مناخ التفاعل بين الجماعات الاجتماعية للعرقيات، القائمة على تفعيل سياسات التعاون الاجتماعي، من شأنه أن ينتج نتائج سلبية ومعوقة.

ويظل " تقدميون " عدة على غير وعي بالأنشطة الهادفة إلى تحقيق التعاون بين الجماعات الاجتماعية، ومن ثم يكونون أكثر عرضة لابتلاع الصور التي يقدمها لهم الإعلام عن الصراع والتناقض والعنف بين الفئات العرقية المختلفة. كما أن بعضهم ممن يناهضون "سياسات الهوية " في مجتمعنا المتعدد الثقافات يعتقدون أن تلك السياسات إنما تؤدى إلى الفرقة والشقاق بدلا من التكافل والتكامل والتعاون . إلا أنهم بذلك يكونون غافلين عن إدراك الجانب الأكبر من الصورة، ويحرمون أنفسهم العمل البناء القائم الآن بالفعل، من أجل تحقيق التعاون بين الجماعات الاجتماعية. هذا فضلا عن أنهم يسهمون في تدعيم حملة إساءة السمعة الموجهة إلى التعدد الثقافي بوصفه سياسة هوية ضارة وغير سليمة. لذلك يتعين على أولئك المفكرين التقدميين أن ينزلوا من عليائهم، ويتحالفوا مع تحقيق السلام والتعاون بين القوى الجماهيرية. إن أية استراتيجية قومية تقدمية يجب عليها أن تتطور بالتعاون مع النشطاء في مجال السياسة التي تسعى إلى خلق التعاون رغم الخلافات الإثنية والعرقية ، في الوقت نفسه الذى تستمر فيه في التزامها بالنضال من أجل العدالة ■

...

هوامش المترجمة

* عصابات الشبـاب ظاهرة في المجتمع الأمريكي بدأت تتشكل في أبعاد وبائيـة لا سيما في المناطق المحرومة اقتصاديا . وهي تنظيمات أشبه بالرابطة الأخوية، إلا أنها روابط شيطانية تدميرية تصل في كثير من الأحيان إلى القتل . ولكل جماعة طقوس ثأرية متعارف عليها، ورموز تسهل التعرف إلى المنتمين إلى تلك العصابة دون غيرها . وقد زاد نشاط تلك العصابات بين أبناء المدارس والمتسربين من التعليم على نحو واضح منذ الثمانينيات، حتى إنها صارت ظاهرة قومية. ويرى المحللون أنها ظاهرة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بانتشار نسبة الشباب من "الأحداث"، كما أنها تتسبب في كثير من الجرائم الخطيرة التي تصل إلى حد القتل . كما أن الإحصاءات تشير إلى أن نسبة العنف بين من ينتمون إلى عصابة ما تزيد ثلاثة أضعاف على غيرهم من الشباب . وقد أشار تقرير المركز القومي لعصابات الشباب في عام ١٩٩٥ إلى أن نسبة الجرائم الناتجة من نشاط أعضاء تلك الجماعات تمثل ٥٨٪ في المراكز التي يشرفون عليها :
Youth Gangs in America http://ojjdp.ncjrs/about/97jujust/gangs.htm

** الائتلافات الاجتـماعية Coalitions: تنظيمات تنبع بمبـادرة مجتمع صغيـر في ولاية بعينها، يدرك أعضاؤه أنهم بصدد مشكلة خاصة ، قد تكون العنف في المدارس ، أو التسرب من الدراسة ، أو انتشار المخدرات . عندها يتطوع عدد من المواطنين، ويركزون جهودهم على حل تلك المشكلة التي منحوها الأولية دون غيرها ، من خلال اجتماعات منظمة يتدارسون فيها المشكلة، ويوزعون العمل على المتطوعين، كلٌ وفقا لاختصاصاته، من بينهم المدرسون، ورجال الأعمال، والموجهون الروحيون، والأطباء النفسانيون، وكذلك الأمهات غير العاملات، إلخ . كما أنهم يقومون بالدعاية لنشاطهم من خلال إقامة حفلات السمر، أو زيارة المدارس وإلقاء المحاضرات ، وطبع المنشورات، وتوزيع الفانلات، واستضافة الشباب ممن نجحوا في تخليص أنفسهم من إدمان المخدرات؛ ذلك أن القضاء على الإدمان بين الشباب هو مسعاهم ، مثلا . وكثير من تلك الائتلافات يقع تحت نطاق ائتلافات اتحادية، منها على سبيل المثال المشروع القومي لمنع المخدرات من دخول المدارس، ويسمى "Dare" ، وهو تلخيص لجملة مفادها " تحدَّ نفسك في رفض المخدرات " . وهو مشروع نجح إلى حد بعيد، وهو مدعوم من أعضاء المجتمع الصغير. وتتلقى مشروعات عدة الدعم المادي من الحكومة الاتحادية أو من الولاية، وفقا لنوع المشكلة، ومدى تطورها على المستوى القومي. وقد يتدرب رجال الشرطة تدريبا خاصا على إلقاء الدروس على نحو منتظم. يدخل ذلك في المناهج المقررة لتوعية الشباب بالمخاطر التي تتهددهم في النشاطات المجرمة قانونا. وأهم سمات تلك "الائتلافات " هى نظام التنسيق المحكم بين

القائمين عليه، ومدى قدرتهم على إقناع السلطات الاتحادية بجدوى تلك الجهود، وضرورة دعم مؤسسات الدولة. إلا أنها جهود تتسم بالمبادرة الشخصية إلى حد بعيد.
(استقيتُ هذه المعلومات من دعوة لمشروع "قل لا للمخدرات"، شاركتُ فيه عام ١٩٩٢، ضمن وفد ضم أعضاء من وزارة التربية والتعليم المصرية ، بالإضافة إلى وفود من المملكة العربية السعودية وبنجلاديش ، ونيبال).